إمانويل لفيناس والتصالح الإيتيقي مع الآخر.

Emmanuel Levinas and the Ethical reconciliation with Other

برقرق حنان*

جامعة عبد الحميد مهري (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة2-، الجزائر)

ملخص بالعربية:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مناقشة مقولة مركزية في فلسفة "إيمانويل لفيناس"، وهي "الآخر" وفق طرح مغاير لما عهدناه، فليس هو الآخر المختبئ وراء عواطف شيلر، ولا هو الجحيم السارتري، ولا حتى آخر ريكور ...

إن الآخر عند "لفيناس" ينطلق من البعد الأخلاقي، هذا البعد الذي لطالما هجره الفلاسفة الغربيين بدعوى تأسيس مركزية وتفوق الرجل الأبيض، وكذا عملا بالتراث الهيليني والروماني القامع والمضطهد لكل ما هو غيري (بربري) .

فكيف أعاد "إمانويل لفيناس " موضعة الآخر في الفلسفة الغربية، وما هي إستراتيجياته في ذلك؟

كلمات مفتاحية: إمانويل لفيناس ؛ الفينومينولوجيا ؛ الأنطولوجيا؛ الأخلاق ؛ الآخر،المسؤولية.

Abstract :

This research paper seeks to discuss a basic idea in the philosophy of "Emmanuel Levinas", which is "the Other",by a new and different view ,that is not the one hiding behind Schiller's feelings, nor is the Sartre hell, not even the Ricour's Other...

The Levinas's Other which we want to discuss here, is derived from the Moral dimension, which has derelicted by Western philosophers under the central establishment and superiority of the white man.

So our question is ;How did Emmanuel Levinas re-place the Other in Western philosophy, and what are his strategies?

Keywords : Emmanuel Levinas, Phenomenology, Ontology, Ethics, Other, Responsibility.

*برقرق حنان : طالبة دكتوراه فلسفة تخصص القراءات المعاصرة للفلسفة الإسلامية العربية المعاصرة،منتمية لمخبر :فلسفة العلوم ،جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة2- ، متحصلة على ليسانس بالأدب الإنجليزي من جامعة –محمد لمين دباغين –سطيف2-.

- مقدمة:

قليلة هي الكتابات العربية التي تتأخذ من أعمال الفيلسوف الليتواني الأصل الفرنسي الجنسية (إيمانويل لفيناس) مساحة للاشتغال والنظر، وما يلحقنا من أعماله إلا فتات ترجمات لا ترقى ولا تحيط بفيلسوف بحجمه، ألم يكن لفيناس عرّاب الفينومينولوجيا *الهوسرلية وناقلها إلى فرنسا، ألم ينصف الآخر إيتيقيا**،و أسس بذلك ميتافيزيقا*** جديدة قائمة على الأخلاق.

وكيّف وجوده –بحثه الأونطولوجي- بعيدا عن أونطولوجيا أرسطو و هيدغر ومن سار حذوهما ...

لذا يُعد فكر "لفيناس" فكرًا رائدا على صعيد الفلسفة الكونتونتالية -القارية- الأوروبية، أين نجده نهل من الفكر الألماني (هوسرل وهيدغر) و الفرنسي (سارتر والماركسيين الجدد) لتكون كتاباته صدى لشغف كبير يروم تأسيس أرضية فلسفية تقوم على تجاوز (الوجودية الألمانية والفرنسية) معا، وفق بُعد ثالث عماده أخلاق الغير **ethics of (Other)** و أخلاق المسؤولية (**ethics of responsibility**) .

فكيف أعاد لفيناس موضعة الآخر في الفلسفة و ماهي إستراتيجياته في ذلك؟سبيلنا في مقاربتنا هذه إذا: المنهج التاريخي التحليلي وفق رؤية ابستيمولوجية تستقرئ تاريخ الفلسفة الغربية في بعديها الفينومينولوجي والأنطولوجي.

1-إمانويل لفيناس* وملامح التشكل الفلسفي:

---

* الفينومينولوجيا الهوسرلية : الفينومينولوجيا هي علم الظواهر ودراستها على طريقة وصفية. ويشير هذا المصطلح إلى مذهب الفيلسوف الألماني هوسرل (Edmund Husserl) ،كما يشير إلى تيّار فكري ينطلق من تصورات هذا الفيلسوف أو أفكاره أو المنهج الذي اعتمده. وقد قامت الفينومينولوجيا على نقد الميتافيزيقا الكلاسيكية داعية أساسا للرجوع إلى ماهو محسوس وعيني ،وكان هوسرل يعني بهذا الرجوع ،الرجوع إلى "الحدس الأصلي" للأشياء والأفكار.أنظر:سعيد،جلال الدين ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004،ص:352

** الإيتيقا :مأخوذة من الفرنسية Ethique والإنكليزية Ethics وهي الأخلاق، والأخلاق في اللغة هو العادة والسجية والطبع،وعند القدماء مَلَكَة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدّم روية وفكر وتكلف،ويطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أم مذمومة، ويسمى علم الأخلاق بعلم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق (Ethique).أنظر: صليبا، جميل المعجم الفلسفي، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1994، ص:49-50

*** الميتافيزيقا(Métaphysique) :الإسم المعطى لكتاب أرسطو،الذي ندعوه اليوم ميتافيزيقا ،لأنه كان تتمة مجموعة أعمال أرسطو التي جمعها أندرونيقوس الرودسي(...) حدده أرسطو :يشتمل على معرفة الأمور الإلهية وكذلك معرفة مبادئ العلوم والعمل، يعتبر توما الإكويني الميتافيزيقا علم كل ما يكشف مافوق-الطبيعي،أما ديكارت والديكارتيون يعتبرون اللامادية هي العلامة المميزة للأغراض الميتافيزيقية ،وهو مالا يكون طبيعيا ولا صوريا.أنظر:لالاند، أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، لبنان،ط:2،2001، ص.790

*إيمانويل لفيناس :Levinas,Emmanuel فرنسي من أصل ليتواني (1906-1995) درس الفلسفة في جامعة فرايبورغ حيث كان يعلّم إدموند هوسرل ومارتن هايدغر. عرّف بعده الجمهور الفرنسي بأونطولوجيا هايدغر في كتابه إكتشاف الوجود مع هوسرل وهايدغر (1949), أما فلسفته الخاصة في الوجود فقد عرضها في كتابيه من الوجود إلى الموجود (1947) ،والزمان والآخر (1948) وهي تقوم على نظرية في الأخلاق تجربتها الأساسية هي تجربة نظرة الآخرين ،وفي مؤلفه الرئيسي الكلية واللامتناهي (1961) يطبق لفيناس المنهج الهوسرلي في التحليلات القصدية ،ويرتكز كل مجهوده على أن يثبت أن الميتافيزيقا، على أنها "تجاوز باتجاه الآخر".أنظر: طرابيشي،جورج، معجم الفلاسفة (الفلاسفة-المناطقة-المتكلمون-اللاهوتيون-المتصوفون) ،دار الطليعة، لبنان،ط:3، ص:583

قبل الحديث عن "إيمانويل لفيناس" وإسهامه في التأسيس لإيتيقا الآخر، سنُحدد أهم المراحل الفارقة التي جمعت "لفيناس" بغيره من الفلاسفة؛ كما جاء في التعريف به أسفل الصفحة، "إمانويل لفيناس" فيلسوف ليتواني من أبوين يهوديين، كان والده بائع كتب في مدينة كاوناس، وقد كان لتأثير الحرب العالمية الأولى صدى واسعًا عليه وعلى أسرته؛ التي آمنت بأن مستقبلها لن يكون إلا في كنف اللغة والثقافة الروسية، هذا ما حدا بـ"لفيناس" أن يُعجب ويتعلق بأعمال: "ألكسندر بوشكين"، "نيقولاي غوغول"،"فيودور دوستويفسكي"، "ليو تولستوي" ناهيك عن تمسكه بالتراث العبري.

إن هذا الإرث الروسي سمح له عام (1923) من السفر إلى "ستراسبورغ" لدراسة الفلسفة عند كل من الفرنسيين "موريس برادينس"، و "شارلز بلوندل"، كما أبدى اهتماما بنظرية "برغسون" حول الديمومة (theory of duration) .

حضر "لفيناس" عام (1928-1929) بـ"فرايبورغ" محاضرات ألقاها "هوسرل" تتعلق بـ "الفينومينولوجيا" وهنا جاءته الفكرة لأن يشتغل بأطروحته حول موضوع "الحدس عند هوسرل" وفي ذات الوقت اكتشف كتاب "الكينونة والزمان" لهيدغر "، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى أُعتقل "لفيناس" كمترجم للغة الروسية والألمانية،وسرعان ما تحول إلى أسير حرب، وفي فترات تواجده هناك كان يستغل فترات الراحة من الأعمال الشاقة؛ لقراءة "هيجل"، "بروست"، "روسو"[1].

ومما تقدّم، نلمح الثراء الفكري الذي صاغ شخصية "لفيناس" من فلاسفة وأدباء، هذا ما سيمكنه لاحقا من أن يشق طريق الفلسفة برؤى ابداعية خلاّقة.

2-منابع التأصيل لإيتيقا الآخر* :

استقت الفلسفة "اللفيناسية" واستمدت وجودها من الفينومينولوجيا والأنطولوجيا** ،ولكن برؤية تجديدية تستدرك مآخذيهما؛ سنعمل على طرح مقاربة لمفهوم الفينومينولجيا والأنطولوجيا لدى "لفيناس" ومن ثمة ننتقل إلى حيثيات تأسيسه لإيتيقا الآخر.

أ-الالتقاء بالفينومينولوجيا:

قبل الحديث عن الفينومينولوجيا "لفيناس" وجب تحديد ماهيتها عند "هوسرل" ؛ ينطلق "هوسرل" من نقد الفلسفة الديكارتية،والكوجيتو الديكارتي،والنظريات النفسية خاصة تلك التي تتعلق بالشعور، ويُحدد مفهوم

---

[1] See: SEAN HAND, The Levinas Reader Emmanuel Levinas, Basil Blackwell, Cambridge, USA ,(1st published) ,1989, p:8-9

* الآخر : الآخر في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض ((الذات)) أو ((الأنا))؛ وقد ساد كمصطلح في دراسة الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري (...) وقد شاع في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر، وميشيل فوكو، وجاك لاكان ,وإيمانويل ليفيناس وغيرهم .ورغم سيولة المصطلح وصعوبة بلورة معالمه بوضوح ،إلا أنه ((تصنيف)) استبعادي يقتضي إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة.أنظر : الرويلي، ميجان ، البازعي،سعد ، دليل الناقد الأدبي –إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديا معاصرًا، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط:3، 2002، ص:21

**الأونطولوجيا Ontologie /Ontology : باب من أبواب الفلسفة(...) دراسة أو معرفة ما هي عليه الأشياء بذاتها، من حيث هي جواهر فريدة(...) هي نزعة فكرية تروم البحث عن سمات وطبيعة الكائن بذاته أو الكائنات بذاتها.أنظر: لالاند، أندري، المرجع السابق،ص:912-913 .

الفينومينولوجيا في قوله « بأنها نقد العقل النظري؛ وهي جامعة بين وجهين :تعلقها بمقام العلم واقتدارها على جملة ميادين علمية داخلة في مجال نظرها، و وجه ثان على اعتبارها منهجا فلسفيا »[1] ويستكمل تعريفه قائلا أن الفينومينولوجيا هي «العلم بالنقد: نقد العقل بأشكاله (النظري،العملي،والمعياري) فهي تختص بكلية شمولية تجعلها مطابقة للميتافيزيقا »[2] إن رغبة "هوسرل" في جعل "الفينومينولوجيا" كعلم صارم ودقيق تعمل على« تخلّيص الفكر من الشك(...)من خلال البدء من كل ما يمكن رؤيته وإدراكه مباشرة بحيث لا نخضع للمؤثرات التي تعمينا والأحكام القبلية»[3] ؛والمراد من هذا أن الذات الإنسانية موجودة في هذا العالم، وهي تتفاعل مع الأشياء والأشخاص، تفاعلها هذا ينطلق من فاعلية الشعور « من خلال ترجمة العالم الخارجي ترجمة تحيله إلى عالم ظاهري وهذا العالم ليس الحقيقة وإنما الحقيقة التي تبدو كذلك »[4] أي كما تبدو لذاتي.

وما يفهم من هذا؛ أن الظواهر تُمثّل حقيقة الشيء كاملة دون تخفي، وبذلك أصبح « كل ما هو موجود ظاهر وقابل للمعرفة من خلال الأنا»[5] إذ أن الذات تنزع نحو الشيء **بفعل قصدي** لتدركه«والقصدية عند هوسرل عملية حيوية تستهدف ربط الذات بالموضوع »[6] بحيث ينشأ من الفعل القصدي للشعور "**حدس**"«يتم فيه حدس الماهيات ،وهو نوعان :حدس فردي تجريبي وحدس عقلي ماهوي»[7] إن مفهوم الحدس (**intuition**)مفهوم مركزي عند "هوسرل" يتم بمقتضاه تكوين الذات لمواضيعها ومعارفها عن العالم ليخلص لنتيجة ميتافيزيقية وهي أن مصدر المعارف نابع من الذات.

وعلى عكس هذه الفينومينولوجيا أقلب "ليفيناس" المعادلة «بجعل فينومينولوجياه يتزعمها الآخر (لا الذات) فجميع المعاني والدلالات نقطة بدايتها الآخر (**the Other**) وأن الخبرة والوجود والماهية ندركها دائما على ضوء هذا الآخر »[8] فالآخر ضرورة لوجود الأنا واستمراريته.

وقد استحدث "ليفيناس" مفهوما جديدا هو "**الأثر**"(**trace**)«بحيث كل شيء في هذا العالم مرتبط بعلامات **Signs** تجعلنا هذه العلامات تبعا لذلك مندمجين، وعندما يأخذ الأثر مكانا داخل العلامات، يقودنا هذا بالضرورة لخلق

---

[1] هوسرل ، إدموند ،فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي إنقزو،المنظمة العربية للترجمة، لبنان،ط:1، 2007، ص:15

[2] المرجع نفسه،ص:26-27

[3] الديدي، عبد الفتاح، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص:23

[4] المرجع نفسه، ص:25

[5] رافع محمد، سماح، الفينومينولوجيا عند هوسرل –دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق،ط:1، 1991، ص:44

[6] المرجع نفسه، ص:191

[7] المرجع نفسه، ص:199

[8] Gilbert Garza , Brittany Landrum, Ethics and the Primacy of the Other:A Levinasian Foundation for Phenomenological Research, Indo-Pacific Journal of Phenomenology, Volume 10, Edition 2 October 2010, P : 4

علامات جديدة، فالأثر يتجاوز كونه وسيط للتواصل، بل هو البصمات **fingerprints** التي يتركها الشخص على مسرح الجريمة[1] .

ومن هذا المنطلق انتقد "لفيناس" معالجة "هوسرل" حول ماهية الظواهر بكونه قدّمها لنا في زمن وسياق حاضر /محايث؛ ليلفت "لفيناس" انتباهنا للماضي، إذ أن الأثر مرتبط دوما بفعل منتهٍ.

كما أن الآخر يُحْدِث أشكالا متعددة من الأثر التي تكون دوما متعاليةtranscendent ؛ بحيث يكون الآخر غائبا عنا غير أن أثره موجود.[2] ، من هنا يؤسس "لفيناس" مقولته الشهيرة : ((the face of the Other is the trace of the Infinite))[3] فوجه الآخر هو أثر لانهائي .

و لما كان عمل "هوسرل" بنظر "لفيناس" غامضًا ((Husserl's work is ambiguous))حدا به هذا لأن يعيد تقييم المنهج الظاهري وتفعيله كنمط (mode) **وجودي** قابل للتحقق[4] ،وهي النقلة التي مارسها "لفيناس" من الطرح الفينومينولوجي إلى الطرح الأنطولوجي ،وهي تشبه مثيلتها "الهيديغرية" كما سنكتشف ذلك .

ب-الالتقاء بالوجودية:

إن التيارات الفلسفية المعاصرة متقارب بعضها مع بعض، ونكاد لا نُفرّق بين الفترات الزمنية لكل منها، خاصة إذا تعلق الأمر بالفينومينولوجيا، والأنطولوجيا، ويرجع هذا إلى السياق التاريخي الذي جمعهما؛ لتبقى الوجودية كنزعة نادى بها «"كيركجورد" لتهاجم الفلسفة الهيجلية النظرية والعملية (الماركسية) »[5] وقد قامت أساسًا لتبحث عن معنى للإنسان من خلال مقولة « الوجود يسبق الماهية ،فماهية الكائن هي ما يُحققه فعلا عن طريق وجوده ولهذا فهو يوجد أولا ثم تتحدد ماهيته ابتداء من وجوده »[6] ولما صاغ "كيركجورد" الوجودية وأرسى أسسها في كونها تبحث في وجود الإنسان وبكل ما يتعلق به : من حالات موت، وقلق، ومسؤولية أراد بهذا تقويم الشخصية الإنسانية التي تصلّبت بالعقلانية وارتبطت بالماديات.

إن البحث في الوجود « (سقط في النسيان) بفعل فاعل، هم الفلاسفة الذين نسوا سؤال الكينونة»[7] هكذا يُرجّح الوجوديون استبعاد مبحث"الوجود" وما درسوه هو الموجود فقط؛ ليدعوننا مرة أخرى إلى ضرورة « طرح سؤال معنى الكينونة »[8] هذا السؤال الذي كان ولازال سؤالا مشروعا ولكنه لم ينل قدرا من المعالجة ...

---

[1] Thomas Tjaya ,Totality, the Other, the Infinite: The Relation between Ethics and Religion in the Thought of Emmanuel Levinas, Boston College University Libraries. Boston College Electronic Thesis or Dissertation, 2010,P : 198

[2] Ibid,p :200-201

[3] Ibid,p :202

[4] Stacy Carol Bautista, ontology in Emmanuel levinas's philosophy, a dissertation submitted to the faculty of the graduate school in candidacy for the degree of doctor of philosophy program in philosophy, loyola university chicago, Chicago, Illlinois,2011,p:119

[5] منصور،أنيس، مقالات عن الوجودية، دار نهضة مصر، مصر، ط:9، 2010، ص:13

[6] بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص: 17

[7] هيدغر، مارتن، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط:1، 2012، ص:49

[8] المرجع نفسه، ص:53

وعندما تبنى "مارتن هيدغر" الوجودية هذا بعد تأثره بفينومينولوجيا "هوسرل"؛ أين يقول «في كتابه الوجود والزمن أنه سيستخدم المنهج الفينومينولوجي لتحليل الموجود الإنساني»[1]فقد مزج بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا أين؛ «أقام فلسفته في الوجود مبنية على تحليل الوجود العيني المفرد أي (الذات المفردة) »[2] ولهذا كان ينظر دوما للذات المفردة بكونها ذاتًا « ذائبة في الغير وهذا الغير يستولي على وجود الذات بما يفرضه عليها من أحوال وأوضاع فلا تفكر هذه الذات إلا كما يفعل الناس وهذا يضفي إلى ما يسميه هيدغر ((السقوط))»[3] إذ أن السقوط هو المنفذ والمهرب للذات للتخلص من الحالات التي تعتريها (القلق) أين تعيش حالة الوجود الزائف .

ومن هذه النقطة يجد "لفيناس" ثغرة لنقد فلسفة الوجود عند "هيدغر"؛ بكونه «فشل في المحافظة على حرية (الدازين) في الوجود الذي دعا إليه»[4] ومن ثمة كانت دعوت "لفيناس" لتأسيس الأخلاق على الحرية ،بدلا من تأسيسها على الوجود التعسفي والعنيف.

((Morality begins when freedom, instead of being justified by itself, feels itself to bearbitrary and violent[5]))

في كتابه "الوجود والموجود" ناقش "لفيناس" موضوع الوجود الموجود، ووفقا لتحليلاته فكينونة الوجود موجودة بذاتها ،ولهذا وجب انتزاعها من "الكينونة المجهولة" "anonymous being" ،فالوجود بحد ذاته سجن لكل شيء، يقول : "...نحن لم نختر أن نكون لكننا هنا والإنسان لا يأتي إلى الوجود هكذا كصخرة، وليس هو بغافل وغير قادر على الانخراط في الوجود كما اعتقد "هيدغر"، بل إن وجودنا شأن من شأننا نحن، أين يمكن للحرية أن تتجسد[6] ،فعلى عكس" هيدغر" الذي اعتبر الذات مرغمة على الاختيار بين وجودين (الوجود الأصيل والوجود الزائف) وهذا ما يفقد الذات حريتها بحسب "لفيناس".

ليربط "لفيناس" وجود الحرية بالمسؤولية ؛حيث أن المسؤولية شرط ضروري لكل حرية "وأن تكون ملزما بمسؤولية معناه أنك تفيض حرية .[7]

«'To be obliged to responsibility overflowing freedom ».

ليخلص إلى أن الحرية -على عكس طرح "هيدغر" و"سارتر"- ليست فعلا عفويا للذات بل أن ((الحرية لا يمكن أن تبررها الحرية)) [8]'freedom is not justified by freedom ؛وأنه خلف الوجود يمكن سماع المسؤولية ،وكما أن

---

[1] سليمان ،جمال محمد أحمد ، الوجود والموجود، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (د.ط)،2009، ص:104

[2] بدوي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 23

[3] المرجع نفسه، ص: 24

[4] Stacy Carol Bautista, Op.cit, p : 118

[5] Zlatan Filipovic, introduction to emmanuel levinas: 'after you, sir!', moderna språk,2011 ,p :58

[6] Willie van der Merwe & Vida de Voss, The ethics of responsibility:the ethical philosophy of Emmanuel Levinas, Acta Academica 2008,40,P :9

[7] Eric S. Nelson , Against Liberty Adorno, Levinas and the Pathologies of Freedom , Article in Theoria · June 2012 ,see : https://www.researchgate.net/publication/272138036 P:69

[8] Eric S. Nelson ,opcit,P :70

الحرية مع الوجود لا تكون حرة بما فيه الكفاية ،إلا أن توسيع الوجود لمسؤوليات كبيرة ،يجعل الحرية فيه غير كافية[1]. أي أن الحرية تتجاوز نطاق الوجود عندما تُربط بالمسؤولية.

إن الهدف الرئيسي لكتب "لفيناس" هو وضع حد للسذاجة واللامبالاة في حياتنا اليومية وللكشف عن إنسانية الإنسان، رغم أن هذه الإنسانية تسبب لنا المعاناة والألم وحتى تقودنا لارتكاب جرائم، لكن يبقى الإنسان موجودًا للآخر ومسؤولا عنه"being-human-for-the-other" [2]..

وهكذا يجمع "لفيناس" مقولات الوجوديين تحت الإضاءة الفينومينولوجية سعيا منه لتجاوز تلك العبثية التي لحقت "هيدغر" ، "سارتر" ,كامو وغيرهم ...

3-التأسيس الإيتيقي للآخر:

3-1-نقد الفلسفة الغربية (سارتر) :

في كتابه "الكلي واللانهائي" قدّم "لفيناس" نقدا لاذعا للأنطولوجيا والفلسفة الغربية تحت شعار **أخلاق المسؤولية** اتجاه الآخ، إذ لم تُنصف الفلسفة الغربية ولم تكن عادلة في تعاملها مع الآخر، ولم تأخذ في اعتبارها لاختلافات هذا الآخر، بل رمته بهيمنتها وقضت على ذاتيته وكرامته، هذا العنف اتجاه الآخر ، اندرج تحت غطاء معارف ومقولات مثل: العِرق، الجنس

وهويات أخرى لا يمكن تجاوزها، والتي يُطلق عليها اسم "الكليات" [3].

"فالآخر هو قوة وحقيقة الإنسان ال الإنسان[4]، "The Other/other is the "very force and fact of the human

ولا يوجد معنى لإهماله، بل الأجدر في رأيه إقامة الأخلاق على الآخر، بحيث يرتبط وجودنا به، مهما كانت صورة أو طبيعة هذا الآخر.

كما وجّه "ليفناس" نقدا لفلسفة سارتر؛ حيث أوضح أن محدودية فهم سارتر لعلاقاتنا المعيارية مع الآخر، جعل معالجته لمفهوم الاستقلالية " Autonomy "معالجة سطحية بسيطة ،حيث أن الاستقلالية تمنحنا أسسا كافية لأخلاق الواجب [5] ،فمصطلح الاستقلالية(autonomy) ، يشير إلى حق الأفراد أو مقدرتهم على حكم أنفسهم* ،

نتساءل : كيف أُحقق الاستقلالية بنظر "سارتر" والجحيم يطارد وجودي؟ كيف أكون مستقلا وأنا أعرف أن كل ما أمارسه مرُاقب؟ ! إنها معضلة أوقع فيها "سارتر" نفسه.

---

[1] Ibid,P : 74

[2]Willie van der Merwe & Vida de Voss,Opcit,p : 4

[3] Zlatan Filipovic, introduction to emmanuel levinas, Op-cit,p :64

[4] Willie van der Merwe & Vida de Voss,Op-cit ,p :4

[5] Claire Katz, Lara Trout, emmanuel levinas, critical Assessments of leading philosophers, Levinas and the history of philosophy Volume 2 ,Routledge, London ,New york ,2005, P :123

* The word autonomy stems from the Greek words αὐτο (autos) and *νόμος* (nomos) meaning: making one's own laws, or self-rule. See : Dennis Moeke, Jeroen van Andel, Historical Analysis of Personal Autonomy for Prospective Healthcare, The International Journal of Person Centered Medicine 2016 Vol 6 Issue 2 ,p: 91-97

كما يختلف "ليفيناس" عن "سارتر" في كون الأول فيلسوف متفائل، أما الثاني فمتشائم ونظرته للآخر لا تحمل إلا الريب والشك :على اعتبار أن الآخر يشكل تهديدا لحرية الأنا[1] Other cast as a perpetual threat to my freedom ،ويتحقق بذلك صدى (l'enfer, c'est les autres).

3-2-الأخلاق كفلسفة أولى :

إن الأخلاق عند "ليفيناس" مؤسسة على الآخر؛ فالعلاقة مع الآخر تجيب على سؤال معنى الوجود.[2] The Question) of the meaning of being) ، إذ أن الوجوديين أغفلوا سؤال الآخر لذا علينا تصحيح هذه المفاهيم فيما يذهب إليه.

ولفهم كتب "ليفيناس" وجب فهم العلاقات الثنائية التي يقيمها بين **الحاجة والرغبة** من جهة، **والذات والآخر** من جهة أخرى، (في حديثه عن اللاأنا non-moi ، نجد الأنا تشعر بالحاجة...وهو شكل أصلي للأنانية، فهدف الحاجة هو تحقيق المتعة ،بحيث يصبح الآخر عندما يحقق لذاتي رغبتها "أنا" Dès satisfaction, l'autre n'est plus autre, il devient moi.[3]

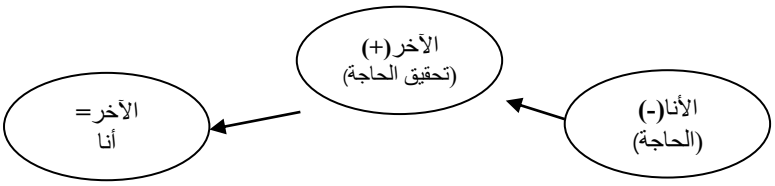

كما أن الحاجة للآخر تجذبنا إليه، في حين الرغبة فيه تجعله ينفر منا ، فنحن نحب الآخر لأنه يلبي حاجاتنا، وهو ينفر منا لأنه يتحول إلى موضوع (شيء)...

Le besoin de l'autre est centripète, le désir de l'Autre est centrifuge[4] ،

3-3 الأنا والآخر :

الذات والآخر هما المحددان اللذان تنطلق منهما فلسفة "ليفيناس"،وهما اللذان يحاول توصيفهما في كتابه الأساسي "الكلي واللانهائي" .وهو وصف فيمينولوجي أصلي بكلّ وجهات النظر،بداية من المعجم اللفيناسي، الذي لا يستعمل أبدا مصطلح ضمير المتكلم المفرد je

ولكن الذات والآخر تؤشر بشكل إيجابي عن مكانة علائقية للإنسان و ضمير المفرد المخاطب"أنت" Tu .

إن الآخر مفهوم أساسي في الفكر اليهودي، والتي لا يعدها ككلية مغلقة على نفسها، وبالنظر إليها ككينونة مفتوحة على أو في علاقات، فالساق مثلا لا تعتبر كعضو مفصول عن الجسد، يمكن أن يُدرك مستقلا لذاته. إنها ليست بعض الشيء ،ولكنها أي (الساق) ما تسمح للإنسان بالمشي والحركة ،ولجلب الماء.وللهرب من مكان

---

[1]Claire Katz, Lara Trout, Op-cit ,p : 124

[2] Vida v de voss, Emmanuel Levinas on Ethics as the first truth, Thesis , university of Stellenbosch ,2006, Western Cape province of South Africa, P : 3

[3] Yves CRETTAZ, Le primat de l'Autre dans la philosophie de Levinas,LES ECHOS DE SAINT-MAURICE, 1971, tome 67, p. 91-102 p :93

[4] Ibid, p : 93

الجريمة ...بالإخلاص لهذا التقليد ،يتجاهل "لفيناس" ضمير المتكلم المفرد في ذاته ،ليكرس دراساته لهدف الإتجاه نحو الغيرية[1] .

نستنتج إذا أن "لفيناس" ربط الفلسفة بالمنظور الأخلاقي، وفق المرجعية اليهودية، واضعا الأولوية الإيتيقية كأصل للآخر ومصدرا للتعالي[2] ، ولذا كانت جل كتاباته تنحو لإنصاف الآخر بكونه جزءً من هذا العالم .

إن الأخلاق ليست سوى اعتراف لانهائي بفضل الآخر، ومنه فوجود هذا الآخر هو ضمان لوجودي أنا[3] ، ووجودي إذا مرتبط بمدى حضور هذا الآخر.

4-3 مقولة الوجه عند "لفيناس" :

يستخدم "لفيناس" مفهوم الوجه ؛ فالوجه يمثل جانبا جديدا لإدراك الوجود، Le visage marque un aspect nouveau dans la perception d'un être[4] ، وهو تمثل للنحن أمام النحن وهو الكيفية التي يقدم بها الآخر نفسه ،و على هذا الأساس يقدّم الآخر من خلال وجهه تعابير عدة ، وهذا ما يعطينا وجودا اجتماعيا لا يمكن اختزاله في أفكار "هيدغر" .

لذا يقول "لفيناس" « إننا لا نوجد بالمفرد مطلقا ،فنحن محاطون بكائنات وأشياء نقيم معها علاقات ولذا فنحن نوجد مع الآخرين نظرا ولمسا وتواددا (...) وأن الآخر لا يكون بشكل من الأشكال غيري أنا ،ومساهما معي في وجود مشترك» [5] فليس هذا الآخر غير ذات مكملة لذوات أخرى ومن ثمة يوجد إلا كائن واحد كائن معروف باللطف ، يعيش علاقات تقابلية تبادلية.

إن الآخر لا يعيش في فلك العلاقات الهرمية -كما وضّح دوركايم ذلك حينما وصف أشكال التنظيمات وتقسيم العمل في المجتمعات المعاصرة- بل إن كل فرد له علاقات مع غيره ومن دون وجود طرف آخر في هذه العلاقات، تستحيل الحياة وبالتي يستحيل الوجود.

فما يجب البحث عنه في الحياة المعاصرة هو« الإيروس» (الحب) بحيث يكون تأثير الحب في ثنائية الكائنات وأنه علاقة لا تحيِّد الغيرية، ولكن تُحافظ عليها ،والآخر بما هو آخر يصبح موضوعنا أو يصبح نحن »[6] فالعلاقات الإنسانية لا تحكمها الصراعات والإقصاء فقط بقدر ما يوحدها الإيروس، الرغبة الجاذبة، والوجود المشترك.

الخاتمة:

وعلى شرفة ما تقدم ،نصل إلى أن الفلسفة الغربية ذات فكر حلقي تتطور نسقيا، اللاحق منها يستفيد من أطروحات السابق ،كذلك هي الفلسفة اللفيناسية التي وظفت المقولات والمفاهيم الفلسفية من منابع الفينومينولوجيا (الهوسرلية) والأنطولوجيا (الهيدغرية) ،و اختلفت معها ابستيميا لتؤسس كينونة وجودية تقوم

---

[1] Ibid, p : 94

[2] Ibid, p : 96

[3] Ibid,p :97

[4] Ibid,p :98

[5] ليفيناس، إيمانويل ،الزمن والآخر، تر: منذر عياشي، دار نينوى، سورية، ط:1، 2015، ص:16-47

[6] المرجع نفسه، ص: 59

على التصالح مع الآخر الذي لطالما أقصي ونُبذ، و على أخلاق المسؤولية ،فوجودي حرا ينبثق من مسؤوليتي الإيتيقية اتجاه الآخر، ليكون "لفيناس" فيلسوف الغيرية بامتياز بمصطلحات "الآخر ، الوجه ،المسؤولية" وهذه هي المفاهيم التي نحتاجها اليوم لنصد موجة التعصبات ونفي الآخر ، وإشاعة روح التسامح والتصالح .

كما وُظف مفهوم الآخر في الدراسات السردية والأدب المقارن الذي يبحث في ثقافات الشعوب، ولم يبق حبيس التنظيرات الفلسفية.

قائمة المراجع :

1- المراجع العربية :

1. بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)،
2. الديدي، عبد الفتاح، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط) ،(د.ت)،
3. رافع محمد ،سماح ، الفينومينولوجيا عند هوسرل –دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق،ط:1، 1991
4. الرويلي، ميجان، البازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي –إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديا معاصرًا، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط: 3 ، 2002
5. سعيد ،جلال الدين ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004
6. سليمان ،جمال محمد أحمد ، الوجود والموجود، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2009،
7. صليبا، جميل ،المعجم الفلسفي، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1994،
8. طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة (الفلاسفة-المناطقة-المتكلمون-اللاهوتيون-المتصوفون) ،دار الطليعة، لبنان،ط: 3،
9. لالاند، أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، لبنان،ط:2 ،2001
10. ليفيناس،إيمانويل، الزمن والآخر، تر: منذر عياشي، دار نينوى، سورية، ط: 1، 2015،
11. منصور، أنيس، مقالات عن الوجودية، دار نهضة مصر، مصر، ط:9، 2010،
12. هوسرل، إدموند ،فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي إنقزو،المنظمة العربية للترجمة، لبنان،ط: 1، 2007
13. هيدغر، مارتن، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط:1، 2012،

2-المراجع الفرنسية:

1. Claire Katz, Lara Trout, emmanuel levinas, critical Assessments of leading philosophers, Levinas and the history of philosophy Volume 2 ,Routledge, London ,New york ,2005
2. Dennis Moeke, Jeroen van Andel, Historical Analysis of Personal Autonomy for Prospective Healthcare, The International Journal of Person Centered Medicine 2016 Vol 6 Issue 2
3. Eric S. Nelson , Against Liberty Adorno, Levinas and the Pathologies of Freedom , Article in Theoria · June 2012 ,see : https://www.researchgate.net/publication/272138036
4. Gilbert Garza , Brittany Landrum, Ethics and the Primacy of the Other:A Levinasian Foundation for Phenomenological Research, Indo-Pacific Journal of Phenomenology, Volume 10, Edition 2 October 2010,

5. SEAN HAND, The Levinas Reader Emmanuel Levinas , Basil Blackwell, Cambridge, USA ,(1st published) ,1989
6. Stacy Carol Bautista, ontology in Emmanuel levinas's philosophy, a dissertation submitted to the faculty of the graduate school in candidacy for the degree of doctor of philosophy program in philosophy, loyola university chicago, Chicago, Illlinois,2011
7. Thomas Tjaya ,Totality, the Other, the Infinite: The Relation between Ethics and Religion in the Thought of Emmanuel Levinas, Boston College University Libraries. Boston College Electronic Thesis or Dissertation, 2010,
8. Vida v de voss, Emmanuel Levinas on Ethics as the first truth, Thesis , university of Stellenbosch ,2006, Western Cape province of South Africa
9. Willie van der Merwe & Vida de Voss, The ethics of responsibility:the ethical philosophy of Emmanuel Levinas, Acta Academica 2008
10. Yves CRETTAZ, Le primat de l'Autre dans la philosophie de Levinas,LES ECHOS DE SAINT-MAURICE, 1971, tome 67,
11. Zlatan Filipovic, introduction to emmanuel levinas: ‘after you, sir!’, moderna språk,2011